ادباء وفنانون يقيّمون مبادرة (المدى)

استطلاع عدنان الفضلي

همموم المثقف العراقي لا تقف عند حد معين، واحاديثه المباشرة والجانبية جميعها لا تخلو من المطالبة بانصافه من الوضع الذي يحيط به حيث قلة الفرص التي يستطيع من خلالها ابراز ابداعاته والعوز المادي الذي يغلف مساره اليومي ناهيك عن الاوضاع العامة التي يشترك بها مع بقية فئات الشعب العراقي.
وعلى هامش توزيع منحة صندوق التنمية الثقافية الذي تتبناه مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون كانت لنا هذه اللقاءات مع عدد من المثقفين والفنانين الذين تحدثوا عن معاناتهم اليومية وآخر اعمالهم في مجال تخصصهم.

الشاعر عبد جبر الشنان كان اول المتحدثين حيث قال:
ان المثقف العراقي وطوال العقود الثلاثة الماضية كان يتعرض لانواع عديدة من الاستفزازات المقصودة وغير المقصودة. والتهميش الذي ناله جراء سياسات النظام السابق جعله ينزوي في ركن خاص اختاره لنفسه حتى لا ينضم لجوقة المطبلين، وبعد سقوط ذلك النظام اجتاح العراق نظام آخر حمل في جنباته الفوضى والتشتت فعاد المثقف الى انزوائه بعد ان هيمن النفعيون والانتهازيون على اغلب مفاصل الحياة الثقافية في العراق وصار المثقف يطالب ويبحث عن مجالات تطلق له ابداعاته وتساهم في نشر وتسويق ابداعاته واخراجها للشارع العراقي والعربي وكانت مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون هي الجهة السباقة لاحتضان المثقف العراقي من خلال النشر واقامة المهرجانات، ومبادرتها الاخيرة في تاسيس صندوق التنمية الثقافية كانت دليلاً واضحاً على مدى الاهتمام الذي توليه هذه المؤسسة بالمثقف العراقي.
اما الخطاط سنان سمير فقد تحدث قائلاً:
ان مؤسسة المدى ومن خلال ما قدمته للمثقف العراقي صارت الجهة الوحيدة التي يتفق عليها الادباء والفنانون العراقيون فاحتضانها لهم من خلال فعالياتها الثقافية جعلتهم يؤمنون بها مؤسسة راقية لا تسعى الى شيء من النفعية والربح على حساب الابداع العراقي كما ان اطلاقها لصندوق التنمية الثقافية الذي ساهم بدعم المثقف والفنان العراقي مادياً هو تأكيد آخر على مصداقية اهتمامها بهموم الاديب والفنان العراقيين، وانا اتمنى على هذه المؤسسة ان تقوم باعمال اخرى ابرزها اخراج المبدع العراقي من الاطار الذي حشر نفسه به وذلك بأقامة فعاليات ثقافية ومعارض فنية للمبدعين العراقيين خارج حدود الوطن ولتكن المبادرة الاولى في كردستان العراق ومن بعدها الى الوطن العربي فأخراج المبدع العراقي من عزلته هدف لن يستطيع احد الوصول اليه سوى عن طريق هذه المؤسسة الراعية للابداع ونحن كخطاطين نعاني من تهميش واضح في الساحة الثقافية العراقية ونتمنى ان نجد لدى مؤسسة المدى طوق نجاة يعيد لنا بريق اختصاصنا الذي صار المسؤول ينظر اليه على انه خط لافتات وشعارات ليس إلا.
ويشاركه زميله الخطاط حازم عباس في الحديث قائلاً:
اتوسم بالخيرين وبهذه المؤسسة الرائعة ان تلتفت لجميع المبدعين القدامى الذين اجبرتهم الظروف الحالية على الانزواء وان تعمل مؤسسة المدى على اعادتهم الى اجواء اختصاصاتهم الثقافية والفنية من خلال تقديم الدعم المادي والمعنوي لهم كما اوجه دعوة للمسؤولين عن الثقافة العراقية الى ممارسة دورهم الحقيقي والخروج الى الشارع الثقافي الذي يعاني من مشاكل وعقد كثيرة فهناك العديد من المبدعين الذين رفعوا رأس العراق عالياً من خلال فوزهم بجوائز متقدمة ولكنهم لم يجدوا من المسؤول العراقي أي بادرة تجعلهم يفرحون بانجازهم كما اتمنى ان تطلق مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون حملة توعية ثقافية بين ابناء الشعب العراقي فهذا الشعب ونتيجة لسياسات الانظمة والحكومات السابقة صار يعاني التغييب وبالتالي اصبحت لدينا امية ثقافية.

وقال الفنان المسرحي محمد الدراجي ان خطوة مؤسسة المدى ورغم بساطتها الا انها منحتنا دافعاً آخر للابداع وهذه المؤسسة كانت سباقة دائماً لتقديم كل ما يليق بالثقافة والابداع العراقي ومبادرة صندوق التنمية الثقافية خطوة رائدة جعلت المثقف العراقي يثق بأن هنالك من يقف معه ويتابع حياته اليومية وانا اطالب الاتحادات والمنظمات المستفيدة من الصندوق بالعمل على انتقاء صحيح للاسماء المرشحة لتسلم المنحة الشهرية واختيار الاسماء التي تعاني العوز المادي الحقيقي لتكون ضمن قوائم الاسماء الثابتة في التسلم والتنحي عن مبدأ العلاقات الشخصية.

الأفعى

قصة : وليم سارويان
ترجمة : زعيم الطائي

وهو يجتاز المتنزه الواسع عابرا في شهر مايو،رأى افعى صغيرة تنساب بين الحشائش وأوراق الشجر، فشرع يتبعها حاملا في يده غصنا طويلا، وقد لازمته غريزة خوف الانسان الأزلية من الزواحف، فكر في نفسه.. آه، يارمز الغواية،ايتها الشيطان، وبدأ ملامستها بالغصن فأنكمشت الافعى تتلوى ألماً، رفعت رأسها، ثم أنقضت على الغصن،وانطلقت هاربة بين الاعشاب، لاحقها بسرعة وقد تملكه نوع من الهلع، كانت شديدة الذكاء،ذات جمال أخاذ،لذا قرر متابعتها وقضاء بعض الوقت قربها عله يكتشف شيئا لم يكن يعرفه.
الافعى الصغيرة، البنية اللون قادته الى داخل المتنزه عميقا،فأخفتهما بعيداعن الانظار كثافة الشجر، شعر بالذنب لأساءته التصرف بشأن قوانين الحديقة وهو يطاردها،فاستعد لأعطاء نفسه اعذارا او لمن سيكتشف فعلته، انا احد طلبة قسم السلوك الاجتماعي او كلية الآداب،او يعتقد انه سيقول انه نحات يقوم بدراسة هيكليات الزواحف، على كل حال، فانه يود ان يوجد له بعض الأسباب الواضحة لأنه لايريد ان يعترف بأنه يبتغي قتل تلك الافعى.
دائرا حول الزاحفة المقاتلة، قافزا بين حين وآخر لكي يحافظ على الوضع الذي بينه وبينها، حتى تمكن اخيرا من استثارتها، مجبرا اياها على التوقف امامه، بعد ذلك جلس مقرفصا على عقبيه لكي يلقي عليها نظرة قريبة، قابضا عليها بواسطة الغصن، خائفا من ملامستها بيده، ان لمس افعى كلمس شيء بالغ السرية في العقل الآدمي، شيء غامض لايمكن كشفه او تحديده او اخراج محتواه الى النور، هذا الشيء الأملس الناعم المنزلق،المتميز بصمته الفظيع، كان في البداية انسانا،والآن تشكل على هذه الهيئة،هنا حيث الافعى مازالت تتحرك فوق اديم الارض كأنما لم يحدث لها ذلك التغير قط.

الرجل الاول والأنثى في العهد القديم، قصة التكوين، آدم وحواء، مضغة الجنين البشري الاولى،انها افعى بديعة بالغة الدقة والرشاقة،اخافه رعبها واصابه الفزع لمجرد اعتقاده بان كل افاعي الحديقة ربما ستأتي بهدوء لأنقاذ الافعى البنية الصغيرة، وسيحيطنه بما يميزهن من صورة الهلع الشيطانية التي لاطاقة له بها، فهذا المتنزه الشاسع لابد من ان يحتوي آلافا من الحيات المهاجمة بين ارجائه سيتمكن ببساطة من اصابته بالشلل الكلي ماان يكتشفن مافعله بالأفعى الصغيرة.

توقف في الحال، وأخذ يجيل النظر فيما حوله، كل شيء هادئ،صمت توراتي يشبه ذلك الصمت الذي صاحب بدء الخليقة.
التقطت اذناه صوت تقافز طائر بالقرب منه مابين الغصون تحت العريشة الواطئة، لكنه كان بمفرده مع الافعى وقد نسي انه في متنزه عمومي في احدى كبريات المدن،عبرت احدى الطائرات السماء فوق رأسه، لكنه لم يرها ولم يسمع لها صوتا، كان الصمت شاملا،وكانت رؤيته مركزة كليا على الأفعى التي امامه.

هاهو في الحديقة الواسعة بصحبة افعى،بكامل هندامه، عند البدايات من عام ١٩٣٢، قرفص على اعقابه ثانية،وبدأ متآلفا، متوحدا برفقة تلك الافعى، اثار ذلك الضحك في نفسه، في داخل سريرته او خارجها، متخذا نفس هيئة الافعى المتجسدة امامه كأنها جزء من كينونته، منبطحا بشكل مستو على الارض، رغم حصافته وفطنته، متشظيا شيئاً فشيئا وملتحما مع الوجود. ياله من احساس هائل، في البداية لم يكن ليتجرأ على محادثتها بصوت عال ،ولكنه بمرور الوقت اصبح اقل خجلا،فأخذ يكلمها بالانكليزية، انه لمن دواعي
السرور ان يكلم المرء افعى،جيد، قال، ها أنذا بعد كل هذه السنوات،
رجل شاب اعيش على الارض نفسها، تحت الشمس نفسها، امتلك العواطف نفسها، وها أنت قبالتي يحدث معك الشيء نفسه،فحالتنا واحدة، اذن ما الذي قررت فعله، الهرب ؟ لن ادعك تفرين مني،
اخبريني ما الذي يدور في خلدك ؟وكيف ستدافعين عن نفسك ؟ فقد
قررت القضاء عليك التزاما بمبدأ انسانيتي.

انتفضت الافعى امامه بيأس، وكفت عن تحاشي غصنه بعد ان قاومته لمرات عديدة، وماعادت قادرة بسبب التعب على درء أذاه، ابعده عنها قليلا فسمع صوتها خافتا تقول: شكرا، بدأ يصفر لها بفمه ليرى هل للموسيقى اي تأثير على حركتها،او ستدفعها للرقص،انت حبي الوحيد، اخذ يصفر عزفا لشوبرت من كوميديات فرقة نيويورك الموسيقية،(حبي الوحيد ...حبي الوحيد) لكن الافعى لم تحرك ساكنا ولم يرقصها اللحن،فكر، ربما سيثيرها شيء من ايطاليا،راح يغني) la donna e mobile لحن المرأة المتقلة)، متعمدا الخطأ في تلفظ كلمات الاغنية، متسليا باخطائه، ثم جرب ان يغني لها تنويمة لبرامز، لكن الموسيقى لم تعد نافعة للتأثير عليها لانها بدت خائرة القوى، خائفة،وكل ماتريده هو الخلاص.

اندهش من فعلته فجأة،فخطر في باله ان يترك لها فرصة للنجاة، ويدعها تنزلق بعيدا لكي تضيع في ذلك العالم السحيق للنوع الذي تنتمي اليه، ولكن لم عليه اطلاق سراحها؟ رفع حجرا ثقيلا من الارض وفكر، الان سأقوم بتحطيم رأسك بهذه الصخرة لكي اراك وانت ميتة، لكي اسحق من خلالك الشيطان الماهر الذي يتلبس فيك ثوب الخطيئة، اقطعك اربا اربا لأبعاد غوايات شرورك.
لكن الغريب في الامر انه لم يلق الحجر فوق رأسها ولم يسقطه من يده، وبدأ فجأة يتملكه شعور بالأسى، قال: انا آسف، ورمى الحجر بعيدا: ارجوك ان تعذريني، ارى ان الحب وحده ماأحمله لك.. ثم حاول أن ينوشها بيده لكي يحملها،وكله رغبة في فهم الحقيقة المتأتية من جراء لمسها، لكن الأمر كان في غاية الصعوبة،فقد اخذت ترعب الافعى محاولته مد ذراعه في كل مرة،واخذت تدير رأسها مستعدة للهجوم (لاأملك نحوك سوى شعوري بالحب، لاتخافي، لاتخافي، فلن اقدم على ايذائك) بعد ذلك قام برفعها من الارض،لكي يتعرف شعور ملامستها الحقيقي، لكنه رماها من يده بسرعة،هناك، قال: الآن عرفت الحقيقة، الافعى باردة،ولكنها نظيفة، وليست دبقة كما كنت اتوقع.وابتسم للأفعى البنية اللون قائلا :
(يمكنك ان تغادري الان، انتهت اسئلتي الفضولية، انك لا تزالين حية،لقد كنت في حضرة الانسان ومازلت تتمتعين بالحياة،يمكنك الذهاب الآن) لكن الافعى لم تغادر مكانها، ولم تتحرك،بعد ان غادرها الخوف الذي احسته في البداية،اشعره ذلك بالخجل المرير لما فعله من اجلها،فملأ نفسه الغضب، فكر، ياسوع، لقد ارعبت افعى صغيرة،
لن افعلها مرة اخرى ابدا، ستتذكرني دائما مهيمنا فوقها .
خاطبها : (اذهبي بحق السماء،عودي الى فصيلتك واحك لهم ماشاهدته بنفسك ومارأيته بعينك، اخبريهم بماذا شعرت وحرارة يد الانسان التي تبعث المرض تقربك،حدثيهم عن مشاعرك وانت في ذلك الموقف) فجأة استدارت الافعى عنه وتزحلقت متجهة الى الامام،مبتعدة،(شكرا لك) قال لها، وقد بعثت في نفسه الغبطة،فبدا يقهقه وهو يلمحها تندلق بجسدها بين الاعشاب والاوراق، شاقة طريقها بعيدا عن جنس البشر، صرخ :رائع، اذهبي واخبريهم انك كنت مع الانسان ورغم ذلك مازلت على قيد الحياة، فكري بكل الافاعي التي عاشت وماتت دون ان ترى انسيا مرة، فكري بماذا يعني لك هذاالامتياز.

بدت له الافعى الصغيرة وهي تنأى مبتعدة، كأنها تنشد جوها الاصلي الذي يبعث في قلبها الضحك والسرور، أشعره ذلك بالبهجة والفرح ايضا فشق طريقه مغادرا، عابرا الممر المقابل.

في ذات المساء، بينما كانت جالسة عند البيانو، مبتدئة عزفهاالرقيق ، اسر لها: - حدث لي اليوم أمر مضحك.
تساءلت وهي مستمرة في عزفها:- امر مضحك ؟

قال: - نعم، كنت اتمشى في المتنزه فصادفت افعى صغيرة ذات لون بني.
توقفت عن العزف وادارت رأسها نحو الاريكة حيث يجلس لكي تستطيع رؤيته: - افعى، ياللقبح.
اجابها : - كلا، كانت جميلة.
- ماذا عنها ؟

- اوه، لاشيء، فقد امسكت بها لفترة قصيرة ولم ادعها تفلت.
- ولكن لماذا ؟

قال: - ليس هناك سبب وجيه على كل الاحوال.

تمشت عبر الغرفة،ثم جلست الى جانبه وهي تنظر اليه بغرابة، قالت:- خبرني عن تلك الافعى...
- كانت لطيفة، ولاتمت للقبح بصلة، حين لمستها شعرت انها بالغة النظافة . قالت :انا مسرورة جدا، ماذا ايضا ؟ قال:
لقد اردت قتلها، ولكنني لم اقدر، كانت جدا جميلة.
قالت : يطيب لي ان اسمع ذلك، احك لي عن كل شئ.
- هذا كل مافي الأمر.
- لا ليس ذلك كل شئ، اريد المزيد.
- كانت مسألة مضحكة جدا، محاولة قتل تلك الافعى والتوقف عن المجيء هنا ثانية.
قالت : ألم تخجل من نفسك ؟
- بالطبع، اخجلني ذلك.
- ماذا بعد ؟ ما الذي فكرت به، هل فكرت بي مثلا عندما كانت الافعى تسعى امامك ؟
قال: سيغضبك ذلك.
- اوه، لايهم، من المستحيل ان اغضب منك، حدثني.
- حسن، اعتقدت انك حبيبة، ولكنك شيطان ماثل، شيطان، ألم اقل لك ان ذلك سوف يغضبك ؟
- وماذا ايضا ؟
قال: - ايضا انا لامست تلك الافعى،لم يكن ذلك سهلا،ولكنني التقطتها وحملتها بين يدي.
- ما الذي دعاك لفعل ذلك ؟
- انت قرأت كتبا كثيرة حول هذه الاشياء، فماذا يعني ذلك ؟التقاطي للافعى ؟
اطلقت ضحكة متذاكية، بصوت خافت: - لماذا ؟ انه يعني ببساطة انك احمق، يقول لماذا، ياللروعة.
قال: هل ذلك طبقا لما جاء به فرويد ؟
ضحكت: نعم، تطبيقا لفرويد.
قال: حسن على كل حال، كان لطيفا اطلاق سراح الافعى.
تساءلت: هل قلت لي يوما انك تحبني ؟
- كان عليك ان تعرفي انني لاأتذكر شيئا، ولا شيئين، قلتهما لك.
قالت: لا، انك لم تقل لي ذلك قط.
غرقت في ضحكتها ثانية، وقد امتلأ قلبها غبطة بشكل مفاجئ له :
- انت دائما تتكلم عن الاشياء الاخرى، الاشياء الخارجة عن مواضيعها، الاشياء المثيرة للدهشة والتي تاتي في غير أوانها.
واستمرت تضحك، قال هو: - ما الذي تتكلمين عنه بحق الجحيم ؟
قالت: انا مسرورة كثيرا لانك لم تقدم على قتل تلك الافعى.
عادت الى البيانو، ووضعت يديها برشاقة فوق المفاتيح :
- صفرت لها بضعة ألحان، صفرت لها قطعة من شوبرت، السمفونية الناقصة،انا احب سماعها كما تعلمين،أنغام الفرح التي يدعونها (الازمان المتفتحة) الجزء الذي يقول (انت حبي الوحيد ..انت حبي الوحيد) وهلم جرا..
بدأت تعزف برقة، وقد غمرها شعور أخاذ بينما هو يتطلع اليها، مصوبا نظراته نحو شعرها المنسدل، يبصر محدقا بيديها، عنقها، ظهرها وذراعيها، شعرت به وكأنه يدرسها،كما لو كان يدرس افعى.

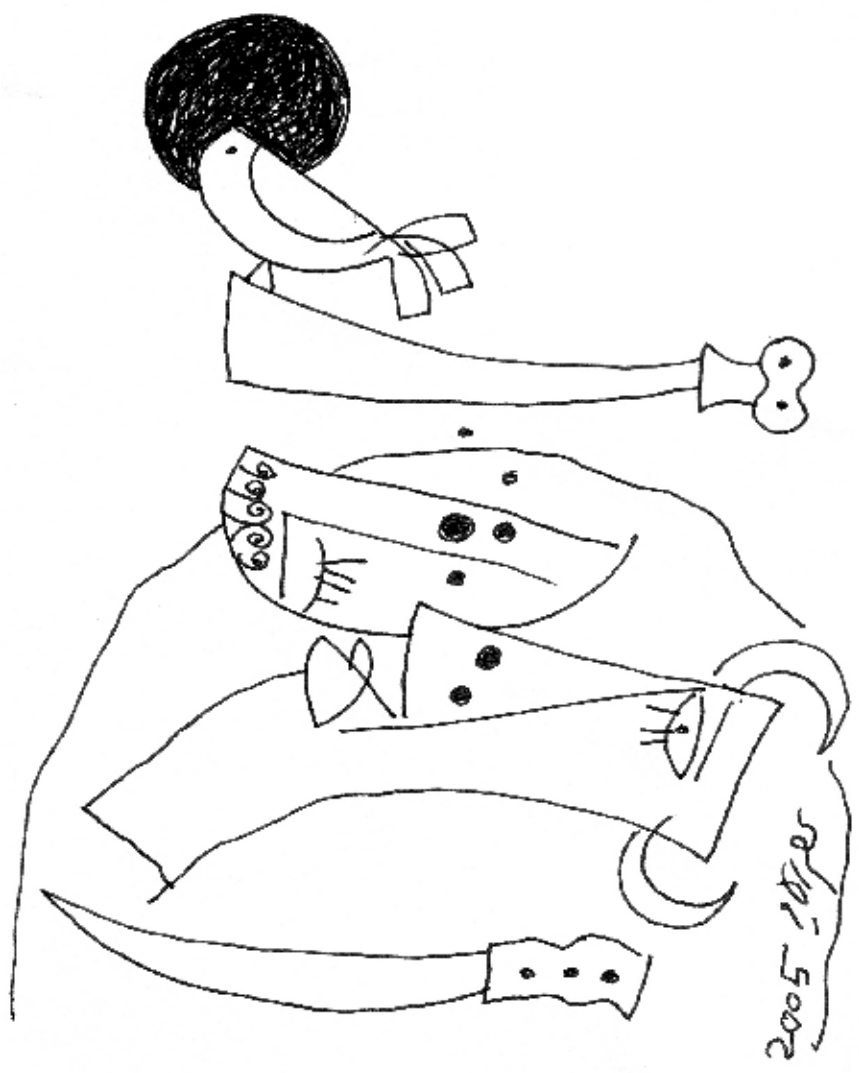

رسائل جامعية

اشكالية الانسان عند دستوفيسكي

علي ياسين
بغداد

اخذت مكانة الادب والفن تحتل اهمية كبيرة في الاونة الاخيرة لا سيما في الدراسات الانسانية وجاء هذا الاهتمام بالاعمال الابداعية بما تقدمه من اسهام اصيل في تشكيل المنجز الثقافي، بهذه التوطئة قدم الشاعر والباحث جاسم بديوي، قراءة لبحثه الاكاديمي الموسوم "اشكالية الانسان عند دستوفيسكي" امام لجنة المناقشة في كلية الاداب التي تالفت من د.فيصل غازي مجهول رئيساً ود.جواد كاظم سماري عضواً، والاستاذة الدكتورة افراح لطفي عبد الله، عضواً واشار الباحث الى ان دراسته تناولت اشكالية الانسان في الروايات والمقالات التي كتبها دستوفيسكي لان دستوفيسكي قد اسس انعطافاً كبيراً ليس في مجال السرد فحسب، بل لان كتاباته اغنت الدراسات العلمية الانسانية، من خلال كشوفاته سواء في انثربولوجيا الانسان والسايكولوجية البشرية والميتافزيقيا والاخلاق والدين والنقد الثقافي والسياسي، فالحرية والخير والشر والوعي الانساني حيث تشكل هذه العناصر جميعها مؤشراً في الاختلالات الروحية التي تضطرم في كيان الانسان عند دوستوفيسكي ما جعله كائناً متزعزعاً ومتحركاً وغير مستقر فهو في حال اشكالي حاول كاتبنا ان يسبر غوره وان يشخص بمجساته الجمالية محن واضطرابات ذلك الكائن.
واكد بديوي من خلال قراءته، ان دستوفسكي قدم من خلال رواياته للعالم عموماً وللمناهج المعرفية بشكل خاص، اضافات "جوهرية مهمة" أُشير اليه بالفضل في اكثر من مناسبة من قبل الكثيرين فلاسفة ونقاداً امثال نيتشه وفرويد والبيركامو.
واكد الباحث ان دستوفيسكي، منذ البداية مختلف ومغاير في رسم شخصياته وهذا ما لخصه المبحث الاول اما المبحثان الثاني والثالث من الفصل ذاته فقد بين الباحث فيهما حركية الانثربولوجيا الانسانية المشيرة نحو طريقين تشترطهما الحرية بالضرورة، اما التدمير الذي عبر ارتكاز الوعي على الذات الواهمة او التطهير من ادران الخطيئة بالمفهوم المسيحي.
ويقول الباحث في الفصل الثالث من بحثه ان هناك تبايناً في آراء الكاتب الثقافية والسياسية والميتافيزيقية والدينية بالنظر الى ان هناك تشابه بعض الظروف التي مرت بروسيا القيصرية في نهايات القرن التاسع عشر والظروف التي تمر بها منطقتنا حالياً، فقد كان دستوفيسكي بطلاً ثقافياً عضوياً بحق رنا الى الوسط الثقافي وشخص الاشكاليات التي طالما حكمت راهن الثقافة والحياة الروسية فرسم عبر نقده الواعي كاريكاتيراً للمثقف.
ويختتم الباحث تقديمه بالقول: يعود دستوفيسكي مرة اخرى الى الرؤية الشعبية المسيحية ليفسر كل تساؤلات ايفان من زاوية ان نفي الاله على الطريقة الاقليدية واستبداله بفكرة الذات المتضخمة تعود الى نفي الانسان نفسه، وان فكرة المحبة الكلية الشاملة هي الخلاص البشري لمعاناة الانسان في العالم.
لقد استطاع الباحث من خلال المناقشة ان يدافع ببسالة اتصفت بالشعرية امام لجنة المناقشة ولاكثر من ثلاث ساعات عن مفاهيم وافكار بحثه بالرغم من عدم حضور المشرف على البحث ذي المهمة الدفاعية امام الاعضاء المناقشين لتنتهي المناقشة بقبول رسالة الشاعر والباحث جاسم بديوي بدرجة جيد جداً في قسم الفلسفة بكلية الاداب، جامعة بغداد.